دور الموروث الثقافي في ترسيخ البناء الاجتماعي وتوظيف النظرية البنائية الاجتماعية التربوية

The role of cultural heritage in the consolidation of social construction and the use of Constructivist socio-educational theory

خالد خواني[1] *، أحمد بن خيرة[2]

[1] جامعة الشهيد حمّة لخضر بالوادي (الجزائر)، **khaledkhouani@gmail.com**

[2] جامعة الشهيد حمّة لخضر بالوادي (الجزائر)، **benkheiraahmed1@gmail.com**

تاريخ الاستقبال: 2021/04/25؛ **تاريخ القبول**: 2021/10/15؛ **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

يجمع أغلبية الدارسين في مجال العلوم الاجتماعية على أن البناء الاجتماعي هو عبارة عن علاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة، ومن خصائصه الثبات والاستمرارية لأطول فترة زمنية ممكنة. تلعب المنظومة التربوية دورا رياديا في تثبيت واستمرارية البناء الاجتماعي من خلال اختيار البرامج والطرق التعليمية التي ترسخه.

تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية الموروث الثقافي بمكوّناته المتفق عليه وطنياً وضرورة إدراجه ضمن البرامج التربوية التي تعمل على تثبيت البناء الاجتماعي وتوظيفه من خلال تفعيل النظرية البنائية الاجتماعية في عملية التدريس، فتطرقنا لعدّة محطات من موروثنا الثقافي التي تؤسس لهذه النظرية في مرتكزاتها.

الكلمات المفتاحية : موروث ثقافي، بناء اجتماعي، فيجوتسكي، نظرية بنائية اجتماعية التربوية.

Abstract:

The majority of researchers in the social sciences unanimously agree that social construction is an organized relationship between different social units, and its characteristics include stability and continuity for the possible longest period. The education system plays a key role in stabilizing and maintaining social construction through the selection of educational programs and methods that root it.

The study aims to highlight the importance of cultural heritage with its nationally agreed components and the need to include it in educational programs which strongly installs social construction and to use it to apply social constructivist theory in the teaching process. We have approached several stations of our cultural heritage which found this theory in its contents.

Keywords: Cultural heritage, Social construction, Vygotsky, Constructivist socio-educational theory.

* **المؤلف المرسل**

1. تمهيد :

يحتاج التدريس إلى تجديد وتطوير في أساليب العمل بشكل دائم ومستمر، فلكل بيئة مقومات وظروف خاصة بها، لذا يجب اتباع أساليب تدريس مختلفة عن بيئة أخرى، كما وأن لكل جيل متطلّبات واهتمامات وقدرات تختلف عن الجيل الذي سبقه.

في جميع المراحل الدراسية للأجيال السابقة كان اتّباع أسلوب المحاضرة والتلقين هو الأسلوب المتّبع في التدريس، إلا أنّ تنوّع مصادر التعلّم عند الجيل الجديد اختلفت عما كانت عليه، ويعود ذلك إلى تطوّر وسائل الاتصال، وصار بمقدور المتعلّم الاطلاع على ما هو خارج بيئته، لذا يجب على المعلّم التعامل مع عقلية المتعلّم بانفتاح أكثر لتوفير الحافز لديه لاختيار الأفضل وتوفير الفرصة له لبذل مجهود عقلي بحثي منطلقا من ذاته، ولهذه الأسباب يجب أن تتطوّر العملية التربوية باستمرار للوصول إلى مخرجات إبداعية.

2. مفاهيم الدراسة:

1.2. البناء الاجتماعي: فلسفة النظرية البنائية الاجتماعية في التدريس منطلقة من البناء الاجتماعي أحد الفروع الرئيسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية، فلذلك فضلنا تناوله في أهم عناصره حتى نفهم منطلقات طرح هذه النظرية.

1.1.2. تعريفه:

هو إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة (التجمعات القائمة على القرابة، والجنس والسن، والمصلحة المشتركة، والمكان والمنزلة) أو كنموذج مقام تبعًا لهذه العلاقة. وتعد دراسة البناء الاجتماعي جديدة نوعًا ما على الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا الاجتماعية. ويمكن القول إنها بدأت براد كليف يراون الذي نمى هذا المفهوم ليقابل بينه وبين مفهوم الكائن العضوي في العلوم البيولوجية.

وهناك – كما يتضح من التعريف السابق – طريقتان على الأقل لتناول مفهوم البناء الاجتماعي، ويبدو أن كليهما مشروعًا. ويرجع التنافر بالتأكيد إلى غموض معنى كلمة بناء. ويقول كروبر: «يكون لكلمة بناء في بعض الأحيان معناها البديهي، عندما نتحدث مثلاً عن بناء زورق الكانو. وهي تؤكد في بعض الأحيان الشكل، وأحيانًا أخرى التنظيم كما هو الحال في مصطلح البناء الاجتماعي الذي يميل على أن يحل محل مصطلح التنظيم الاجتماعي».(قباري، 1977، ص 349-350) ونجد أن معنى التنظيم هذا واضح أيضًا في تعريف كروبر وكلاكهون Kluckhohn للبناء، ألا وهو: «طريقة انتظام الأجزاء بعضها مع بعض». على أن البناء الاجتماعي لا يفهم فقط كتنظيم بين أجزاء وإنما يمكن أن يفهم أيضًا كشكل – أو إطار مجرد- كما هو الحال في بعض التعريفات الحديثة.

البناء الاجتماعي هو تنظيم العلاقات الاجتماعية في كيان كلي واحد. ويرتبط هذا المفهوم للبناء الاجتماعي بمفهومي الوظيفة والتشكيل. وقد يظهر في بعض الأحيان بشكل غير واضح في تعريف مالينوفسكي (في مفهومه عن "الكيان الكلي العضوي" Organic Whole) على حين يحدده وارنر Warner عن وعي بأنه "نسق للتجمعات الرسمية وغير الرسمية التي تنظم السلوك الاجتماعي للأفراد".

فيقرر راد كليف بران أنه عندما يستخدم مصطلح بناء فإنه يعني:«نوعًا ما من الترتيب المنظم للأجزاء أو المكونات». وهكذا فالبناء الاجتماعي هو «تنظيم الأشخاص في علاقات منضبطة ومحددة مؤسساتيًا»، وهو «شبكة مركبة من العلاقات الاجتماعية»، و"البناء" هو الآن المفهوم الأساسي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهو يعني أننا نفكر في "المجتمع"، وليس في "الثقافة" كتكوين منظم

للأجزاء، وأن واجب الباحث هو اكتشاف هذا النظام وتفسيره. وهو يتكون من العلاقات القائمة بين الأفراد، وهي علاقات ينظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها. (الجوهري، شكري وآخرون، 2007 ، ص 52)

البناء الاجتماعي عبارة عن نموذج model على غرار الواقع الاجتماعي الأمبيريقي، ولكنه ليس مطابقًا له. وكان أول من قدم هذا النوع من التعريفات فيرث Firth، وفورتيس Fortes وليفي شتراوس. ويؤكد فروتيس أن «البناء الاجتماعي لا يظهر مباشرة في الواقع الملموس»، ويشير فورتيس في مناسبة أخرى إلى أن البناء الاجتماعي «ليس جانبًا من جوانب الثقافة الكلية لشعب ما على أنها مندرجة تحت البناء الاجتماعي».

ويذهب هذا الفريق من العلماء إلى أنه يجوز أن يندرج تحت البناء الاجتماعي مجموعة كاملة من البناءات فهو ''نظام النظم'' على نحو ما يقول ليفي شتراوس، ويتكلم إيفانز برتشارد عن شرائح اجتماعية. وتشير هذه البناءات التحتية (الفرعية) إلى أجزاء المجتمع مثل نسق القرابة، والتنظيم الاجتماعي (بمعناه المحدود) والتدرج الاجتماعي.

ويرى ليفي شتراوس أن «هدف دراسات البناء الاجتماعي هو تفهم العلاقات الاجتماعية بمساعدة النماذج». وسواء فهم البناء الاجتماعي كنموذج أو كتنظيم للعلاقات الاجتماعية فإن البحث فيه يسعى نحو الأهداف التالية التي حددها راد كليف براون وهي: التصنيف المنهجي للأنساق الاجتماعية وتفهم ملامح معينة لأنساق معينة، والوصول إلى تعميمات صحيحة بخصوص طبيعية المجتمعات البشرية. ويخلص رادكليف براون إلى أننا «نعني طبعًا مثل هذه التعميمات عندما نتكلم عن القوانين السوسيولوجية». فعملية الفهم الحقيقي للعمليات الاجتماعية يعتمد على دراسة النسق الكلي الذي يؤلف النظام الاجتماعي جزءا منه، وينظم هذا النسق ثلاثة عناصر متميّزة وهي: الأفراد الذين يتشكل منهم المجتمع، والبيئة الطبيعية التي يتعيّن على المجتمع أن يكيّف حياته معها، وأخيرا الوسائل الفنية اللازمة للمعيشة التي تضمن بقاء المجتمع واستمراريته عن طريق نقلها من جيل لإلى جيل. (لينتون ، 1964، ص 357)

2.1.2. خصائصه:

أ. البناء اجتماعي يتكون من أنماط من العلاقات الاجتماعية:

وهي عبارة عن علاقات محسوسة بين أفراد أو جماعات المكوّنة للمجتمع مثل: عبارات وطقوس التحية بين أفراد المجتمع لكل من الذكور والإناث، وطقوس تحضير الطعام والإطعام في الولائم الشعبية، والمراسيم الاحتفالية كالزواج ومراحله المختلفة، وغير ذلك من الأنماط الاجتماعية المبنية أساسا على العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات.

ب. البناء الاجتماعي كلٌّ أو نسيج متشابك الأجزاء:

يتكوّن البناء الاجتماعي من عناصر أو أجزاء متشابكة فيما بينها وخير مثال على ذلك في مجتمعنا العربي نجد علاقات مثينة بين الدين وباقي عناصر البناء الاجتماعي، حيث ينظم الدين العلاقات العائلية من زواج وطلاق وتربية الأطفال وعلاقة الزوج بزوجته ونظام الميراث. كما نرى أن العديد من المثل العليا العربية من كرم وشجاعة واحترام الوالدين وكبار السن والالتزام بالشعائر الدينية وعفة الفتاة ما هي إلا فضائل أقرها الإسلام.كما يؤثر الدين في حياتنا اليومية كترديد التحية "السلام عليكم" وفي حياتنا الاقتصادية (تحريم الربا) والمأكل (تحريم أكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الخمور والمخذرات) والملبس (اللباس المحتشم بالنسبة للمرأة)...إلخ. ومن هذا المنطلق فالبناء

الاجتماعي نسيج يتكوّن من أجزاء متشابكة ومتداخلة وليس من عناصر مستقلة ومنعزلة عن بعضها البعض (يتكامل النظام الديني مع النظام الاقتصادي مع النظام التربوي وغير ذلك).

ج. البناء الاجتماعي مستقر ولكنه ليس جامداً أو خالداً:

يتميز المجتمع عادة بالاستمرار لفترات طويلة من الزمن عكس ما يحدث للأفرد الذين يكوّنونه، ويترتب عن ذلك أن البناء الاجتماعي يتصف بخاصية الاستقرار، ولكن هذا الأخير لا يعني الثبات. فمثلا في كل يوم تحدث ولادات كما تحدث وفيات، ويهاجر أفراد ويعود آخرون، وتتغيّر مظاهر العلاقات الاجتماعية فيه لتغيّر الأشخاص. كما أن البناء الاجتماعي قد يتعرض في بعض الأحيان إلى ضغوط خارجية تعمل على زعزعته وقد يزول كلّية أو يزول عنصر منه تحت تأثير متطلبات الحياة المتزايدة والعولمة إلخ.

2.2. الموروث الثقافي:

1.2.2. تعريفه :

التراث هو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ، ويتناقل من جيل إلى آخر ، ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعياً ومتميزة بيئياً ، تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية ولكنه يحتفظ دائماً بوحدة أساسية مستمرة . " ولكي نُمسك بشكل أفضل بمفهوم التراث هذا ينبغي أن ننتقل من التعميم إلى التخصيص.(مُحَمَّد عبد الله، https://www.academia.edu/38448968/، ص 2)

2.2.2. أقسامه:

فقد قسمت الخطة الشاملة للثقافة العربية التراث إلى ثلاثة أقسام:

أ. –تراث مادي : كالمباني الأثرية وما تكشفه الحفريات وتضمه المتاحف ، وكلها تمثل عصورها بشكل أو بآخر.

ب. –تراث فكري : قوامه ما قدمه السابقون من علماء وكتاب ومفكرين ومسؤولين سياسيين كانوا شهوداً على عصورهم ومبدعين من خلالها

ج. – تراث اجتماعي : حياتي قوامه قواعد السلوك والعادات المجتمعية والأمثال والتقاليد ومنظومة القيم الاجتماعية ، وهي تشكل بناء خلقياً متماسكاً طويل الدوام ، كبير الضغط والتأثير على الأفراد وأن يكن مقيماً وراء الشعور والوعي في غالب الأحيان. (مُحَمَّد عبد الله، https://www.academia.edu/38448968/، ص 3)

3. النظرية البنائية الاجتماعية التعليمية لفيجوتسكي*:

* ليف فيجوتسكي Lev. Vygotsky نفساني روسي من مواليد 1896 ببلروسيا، تحصل على شهادة الأدب من جامعة موسكو عام 1917، وعمل في معهد علم النفس بموسكو إلى غاية 1924، حيث اشترك في تطوير البرامج التعليمية في مجال الصم البكم وتعاون مع الباحثة "آن يونتيف" Ann Leontief من أجل التوصل إلى ايجاد نظرية علمية جديدة تضاف إلى حقل الدراسات النفسية التربوية الروسية. وبالرغم من جدية الطرح الذي قدمه في المجال النفسي لكنه لم ينل شهرة ولم تأخذ دراسته حضها في الجامعات الغربية. وهذا لعدّة أسباب منها سيطرة النظرية البنائية والنفعية إلى حين ترجمة كتابه "اللغة والتفكير" سنة 1958. وكم كانت حصرة فيجوتسكي لعدم التقائه بعلماء البنائية أمثال "جون بياجيه" . لم يعمّر فيجوتسكي طويلا بل وافته المنية عن عمر 36 سنة إثر إصابته بداء السل عام 1934. نظرا لانقسام العلماء الذين يدرسون علم نفس الدماغ في عصره مع نظراءهم الذين يهتمون بالأنظمة الحسية (العمليات العقلية) سنحت له الفرصة لإظهار كفاءته مبرهناً بنجاح عنها.

تعتمد الأسلوب التعاوني والنشط بين المتعلم والمعلم في التدريس (التفاعل الاجتماعي- تنمية الاتصال والقدرات اللغوية للمتعلمين، ويقتصر دور المعلم على التوجيه والتقييم وتنظيم العملية التعلمية ...)

يمكّن النموذج التربوي الذي يتبنى المقاربة البنائية الاجتماعية المتعلم من بناء شخصيته المنفردة، وذلك من خلال تنمية كفاءته المعرفية والأذاتية والاجتماعية في مجال الفكر والثقافة، والمنهجيات، والتفاعل الاجتماعي والفردي. وقد جاءت هذه النظرية نتيجة الانتقادات التي وجهت للبنائية المعرفية لـ: جون بياجي (John Biagie) التي أغفلت بدورها عنصراً مهما الممثل في الجانب الاجتماعي الثقافي والبيئي في العملية التعليمية. (أحمد جابر، 2000، ص 25)

التعلم البنائي الاجتماعي الثقافي عند فيجوتسكي يحدث التعلم في سياقات ذات معنى ويمتاز بما يلي:

- ✓ المتعلم والمعلم قطبا الرحى في العملية التعليمية / التعلمية؛
- ✓ ضرورة الاحتكاك بالأقران والبينية؛
- ✓ التركيز على الإجراء لاكتساب الخبرة؛
- ✓ الجو الديموقراطي والدينامية النشطة؛
- ✓ يهيئ الأستاذ المتعلم بتزويده بالنصائح؛
- ✓ يوجهه إلى طريقة إدارة الحوار المفتوح الناجح؛
- ✓ إرشاد المتعلم إلى طريقة الأداء الفعالة أثناء الاحتكاك بالوضعية التعليمية؛
- ✓ اعتماد أسلوب التحليل، حتى يتمكن من فحص الأداء الحالي لبناء الأداء المفترض؛
- ✓ إمكانية استعمال وسائل سمعية بصرية تحفز المتعلم وترشده.

1.3. نماذج تعليمية وفق النظرية البنائية الاجتماعية: (غيلوس، 2017، ص 125-126)

1.1.3 التعلم التوليدي: يتم عبر المراحل الآتية:

المراحل	بطاقة النشاط وفق نموذج التعليم التوليدي
مرحلة الانطلاق (التمهيد)	– التوجيه: يمهد الأستاذ المناخ الدراسي، ينطلق من مشكلة لظاهرة ما في محيط المتعلم، ويطالب المتعلمين إلى إبداء ملاحظاتهم، أو يطرح هو أسئلة بحيث يثير انتباههم وتكون داعية للتفكير فيها. – إثارة الخبرات اليومية للمتعلم: فيها يعرض المعلم بعض الأمور المحيرة والأحداث المتناقضة أو قضايا بيئية أو مواقف حياتية مختلفة، لإثارة أفكار الطلاب وخبراتهم

	اليومية فيشعر المتعلم بالحاجة إلى البحث والتنقيب للوصول للحل، مع مراعاة الربط بالمعلومات السابقة التي لديهم.
مرحلة التركيز	– يقوم المعلم بتقسيم المتعلمين إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة. – إعطاء أولوية للتركيز على المفاهيم المستهدفة أو السلوكيات المراد إكسابها للمتعلمين، مع تقديم مصطلحات علمية وترك باب الحوار والتفاوض بين المتعلمين مفتوحاً. – تقوم كل مجموعة بحل الأسئلة الخاصة بها استعدادا لعمل جلسة نقاش مع الأستاذ.
مرحلة التحدي	– إعادة تقديم المفاهيم والمصطلحات والتحدي بين ما كان يعرفه المتعلم قبل التعلم وبعده. – الاستفاضة في المناقشة بين جميع الأطراف. – مقارنة بين سلوكيات ومعرفة المتعلم قبل المعلومات الجديدة وبعدها.
مرحلة التطبيق	– إيجاد تطبيقات مناسبة لما توصل إليه المتعلمون من مفاهيم واستنتاجات وحلول في مواقف أخرى مشابهة في الحياة. – يصبح كل ما تعلمه المتعلم جزء من قيمه وسلوكياته التي يتعامل بها مع أفراد مجموعته.

2.1.3. التعلم التشاركي: يتم عبر المراحل الآتية:

المراحل	بطاقة نشاط وفق نموذج التعلم التشاركي
مرحلة التهيئة (التمهيد)	تأتي أهمية هذه المرحلة من خلال نمذجة الاستراتيجية التي سيقوم بها المتعلم فيها بعد، وانطلاقا من سند سابق يستنفر المتعلم معارفه وخبراته المكتسبة.
مرحلة التساؤل	يركز المتعلم على الظاهرة، ومشاركة الجماعة بالمناقشة، ووضع أسئلة بطريقة موجهة.
مرحلة التوضيح	يكون العمل في مجموعات صغيرة، يتحدث المتعلم عن الخطط الاستراتيجية حيث يأخذ المتعلم دور القيادة في طرح الأسئلة ومناقشة الاستراتيجيات، ودور المعلم يقتصر على تقديم المساعدة.
مرحلة التنبؤ	يصوغ المتعلم فرضيات ويتنبأ بالنتائج، ويستمر في تنفيد المهمة الموكلة إليه، مع بعض الدعم المتدرج في حالة النقصان.
مرحلة التطبيق والتقويم	يقوم المتعلم بتطبيق المهمة وفق ما اتفقت عليه الجماعة ، حيث يكون متقنا للخطوات السابقة، ولا يحتاج للدعم بل يعتمد على نفسه.

2.3. الأهداف من شرح الدروس وفق النظرية البنائية الاجتماعية:

وفق منطلقات النظرية البنائية الاجتماعية في التدريس يطلق عليها كذلك مصطلح التعليم التعاوني والتعليم النشط كون هذا الأسلوب يحقّق عدّة أهداف منها:

- تشجيع المتعلّمين على التعاون.
- اكتساب المتعلّم مهارة الحوار داخل مجموعته (التواصل، اللغة).
- دمج التلميذ الخجول مع غيره من زملائه.
- تعاون مستويات عقلية مختلفة مع بعضها البعض.
- خلق روح التنافس الخلاق بين المتعلّمين.
- إضفاء جو من المرح والنشاط بين المتعلّمين.
- تفاعل جميع المتعلّمين خلال الفصل الدراسي.
- اكتساب مهارة القراءة والكتابة واللغة.

3.3. الأساليب العملية في شرح الدروس وفق النظرية البنائية الاجتماعية:

يمكن تنفيذ الأهداف السابقة عن طريق:

1. نجهّز 6 طاولات موزعة في القسم (قاعة التدريس)، وملحق بكل طاولة 5 كراسي.
2. نسمّي المجموعات مثلا: مجموعة أ، مجموعة ب وهكذا، ونثبّت اسم كل مجموعة على طاولة.
3. نعيّن لكل مجموعة قائدا لمتابعة تنفيد النشاط المخصّص لمجموعته.
4. نشرح واجبات القائد وباقي أفراد المجموعة.
5. نوزّع ورقة عمل على كل مجموعة؛ بحيث تغطّي أوراق عمل الدرس المراد شرحه.
6. نحدّد وقتاً لجميع المجموعات لإنهاء العمل وليكن مثلا عشر دقائق.
7. استخدام الكتاب المدرسي ليكون نموذجاً من قِبل كل مجموعة.
8. يكتب أحد أفراد المجموعة الإجابات التي يتفقون عليها على ورق مقوى مثلاً.
9. يتجوّل المعلّم بين المجموعات لتقديم المساعدة والتذكير بالوقت.
10. عند انتهاء الوقت المحدّد يُطلب من المجموعات التوقف عن العمل، والانتباه.
11. يُطلب من قائد كل مجموعة تعليق لوحة عمل مجموعته على الحائط في المكان المخصص.
12. يقرأ قائد المجموعة الإجابة التي اتفق أفراد مجموعته عليها فيما يخص النشاط الخاص بهم.
13. يصوّب المعلم نتاجات عمل المجموعة ويكتبها على السبورة.
14. نكمل مع باقي المجموعات بنفس الطريقة.
15. يُطلب من جميع المتعلّمين كتابة الخلاصة النهائية المكتوبة على السبورة على كراريسهم (دفاترهم)
16. في آخر خمس دقائق أو عشر من الحصة نفتح نقاشا عاما مع كل المجموعات.

4. نماذج تطبيقية من الموروث الثقافي المحلي للنظرية البنائية الاجتماعية التعليمية:

ترتكز النظرية البنائية الاجتماعية على عملية التفاعل الاجتماعي بين العناصر (الأفراد) في إطار اتصالي مستخدمة لغة تسهّل عملية الاتصال وبالتالي يتحقق التفاعل الاجتماعي المنشود في العملية التربوية. ومن أهم المناسبات التي يزخر بها موروثنا الثقافي والتي تدعم الطرح البنائي الاجتماعي نذكر كما يلي:

1.4. الاحتفال بـ"يناير":

قصة يناير وحقيقتها هي مناسبة فلاحية يحتفل بها في الكثير من نواحي المغرب العربي تيمّنا بمجيء سنة فلاحية جيدة خضراء، وليست مقصورة على المناطق البربرية. فحتى بمنطقة القبائل ،وقبل ما يسمى بالربيع البربري سنة 1980، كان الاحتفال بها خاليا من أي طابع عرقي أمازيغي. فالأب داليه J.M.Dallet صاحب أهم قاموس للهجة القبائلية حديث، يذكر في مادة "يناير" yennayer ما يلي: ''أول شهر من التقويم الفلاحي الشمسي ، تقويم جوليان. أول يوم من هذا الشهر، يقوم فيه الناس بتناول شربة يناير على لحم قرابين الديوك أو الأرانب. ويدخل هذا اليوم ضمن ما يسمى بأيام العواشير، التي تعتبر قبل كل شيء أياما دينية إسلامية، من التقاليد المتداولة مقولة قبائلية تقول: إن الماء الذي ينزل في يناير ينغرز في وهج حرارة أغسطس (Dallet ,''1982) ولم يذكر داليه أية إشارة أمازيغية؛ فقد سألتُ سيدة من مدينة البيّض سيدي الشيخ الجزائرية وهي عربية ـ تقول أنها من سلالة فاطمة بنت الرسول ﷺ ـ فقالت لي بأنهم يعدّون الشرشم أي القمح المطبوخ ويأكلونه حتى تأتي السنة بالصّابة، أي بمحصول قمح جيد، كما تقسَم رمانة على أعضاء الأسرة. والرمانة عادة عربية كنعانية فينيقية رمز للخصوبة الزراعية، فرونيه باسيه R.Basset يقول ''لقد علّم القرطاجيون البربر الزراعة، فالبربر يكسرون الرمانة على مقبض المحراث، أو يدفنونها في أول خط للحرث، تفاؤلا بأن سنابل الحبة المبذورة ستأتي كثيرة بعدد حبات الرمانة، وهي عادة مستمدة من ثقافة قرطاج، فالرمانة عندها رمز للخصوبة''(Basset, 1921, p 340) وثقافة قرطاج ثقافة عربية قديمة مثل ثقافة الأمازيغ. كل هذا يشير أن ينآير عادة مغاربية بعيدة عن العرقية. مرتبطة بالأرض والزراعة وبخاصة زراعة القمح. تستبشر بشهر ينار الذي يأتي بالماء من خلال ثلوجه وأمطاره، فينبت الزرع ويدرّ الضرع، فتأتي الغلال وفيرة ويعيش الناس في رخاء. كتب بتفصيل المستشرق الفرنسي Ed.Destaing في بداية القرن الماضي مقالا طويلا عنوانه ''ينّاير عند بني سنوس" وهم مجموعة من البربر جنوب غربي تلمسان. نشرها في المجلة الإفريقيةR.A ، واستهلها بخمس صفحات تروي بلهجة بني سنوس البربرية وبالخط العربي احتفالات يناير، خلاصتها كما ثبتها الكاتب في جمل عربية كتبها بنص المقال الفرنسي ، نورده بنصها فيما يلي: ''يوم نفقة اللحم.. يوم نفقة الكرموس.. إنهم يجمعون في مساء بداية اليوم ورق الشجر الأخضر على أنواعها حتى الريحان والبرواق وبوقرعون والخرّوب والسانوج والكروش والدرياس والعرعار، وينشرونه على سطوح المنازل حتى تأتي السنة خضراء.. في ندرومة يأكلون في اليوم الثاني رؤوس الغنم ويقولون: من ياكل في ينّاير راس يبقى راس، أي يبقى إنسان عال.. في تلمسان يعدّون شربة لحريرة بالكروية وهم يقولون: شهّد يا الكروية ما تموت شي يهودية..وتعد النساء الشرشم أي القمح المطبوخ وهن يتغنين بالبيتين: كل الشرشم لا تتحشّم* ربي عالم ما دسّينا شيْ قم تسلّف لا تتهوْرف * قاع الحلّه ما فيها شيْ ويتردد طلبة القرآن على البيوت طالبين الأكل في هذا اليوم وهم يرددون لا إله إلا الله، والبيتين: هذا الدار دار الله * والطلَبة عْبيد الله عمروها وثمّروها * بجاهك يا رسول اللهوإذا لم يتلق الطلبة شيئا يرددون: المسمار في اللوح، مول الدار مذبوح، شبرية معلقه، مولاة الدار مطلقه.. وتكتحل النساء عيونهن بالكحل.. وإدا سقط سن صبي في هذا اليوم تردد أمه: يا سنينه يابنينه، تخرج لوليدي سنينه، بجاه مكة ومدينه، ورجال الله كاملين'' (Destaing, 1905, p 51) ويلاحظ أن الأقوال التي تردد في هذا اليوم ، كما أوردها هذا المستشرق ، مطبوعة بالطابع الإسلامي. هذا الكلام برهان على أن الأمازيغ ينتمون إلى أصل واحد هو الأصل العربي القديم الذي سمي خطأ ياليسامين. معنى هذا أن البربر حكموا مصر الفرعونية قرنين كاملين، ساهموا في الحضارة المصرية القديمة وصاروا شركاء فيها، اندمجوا فيها

وصار منهم كهنتها. ومعبد الكرنك بمصر شاهد على ذلك فهو يضم أكثر من عشر مسلات تمثل هاتين الأسرتين الأمازيغيتين، أسوة بالتقليد الملكي الذي يلزم كل أسرة حكمت مصر تخليد ذكرى أمرائها بنصب مسلات تمثلهم في معبد الكرنك. معنى هذا الكلام أن خريطة الوطن العربي كانت تمثل وحدة جغرافية وبشرية منذ آلاف السنين.

توظيف المناسبة: أهمية هذه المناسبة هي تفعيل البناء الاجتماعي، فتسمح لجميع أفراد العائلة للاجتماع حول طبق معيّن خاص بكل منطقة، فيشترك الجميع ويتفاعلون ويتبادلون الأحاديث (التواصل)، فعلى مدارسنا توظيف هذه المناسبة في مقرراتها التعليمية لأنها تخدم أسلوب وطريقة التدريس وفق المقاربة البنائية الاجتماعية وتجري في جو عائلي مليء بالنشاط والفرح والابتهاج وتبادل الأفكار ومناقشتها مع مراعاة التقاليد والعادات المرتبطة بكل منطقة في طريقة تحضير الأطباق الغذائية والحلويات والمكسرات، فبالتالي خلق جو تعليمي، ترفيهي وإحياء لتراثنا وربطه بالأجيال الحالية .

2.4. التويزة:

1.2.4. تعريف التويزة:

"التويزة" هي تجمع مهني وفني، يشترك في إنجازه مجموعة من الأشخاص بطريقة تطوعيّة لفائدة أحد عناصر المجموعة، وتتشكل التويزة حسب نظام دورة الحياة البدوية الريفية، فتتواجد في كل المواسم الكبرى كالحرث والحصاد وإعداد الصوف وجني الزيتون ... وتعرف التويزة عادة في المجتمعات ذات الأصول القبلية حيث تتوارث جملة من العادات والتقاليد والأعراف التي تتناقل بطريقة شفوية تقليدية من جيل لآخر.(برقوقي، 2012، ص 95)

"التويزة" هي ظاهرة اجتماعية تعبّر عن حالة تضامنية موسمية بين أفراد المجتمع الريفي، ويمكن للتويزة أن تكون في شكل تجمّع نسائي في إعداد الصوف وقردشته وغزله وكذلك نسجه أو في إعداد "العولة" من خلال جملة المراحل التي تمر بها من رحي الحبوب وإعداد "العولة" وغيرها، كما تكون "التويزة في شكل تجمع عملي رجالي مثل عملية حرث الأرض وكذلك الجني أو الحصاد، وقد يشترك كل من الرجال والنساء في الأعمال التي تكون عادة خارج التجمع السكني مثل عملية الحصاد وجني الزيتون.

2.2.4. أصل مصطلح التويزة:

تختلف تسمية التويزة من منطقة لأخرى ومن نشاط إلى آخر، ويعيد بعض الرواة أصل مصطلح التويزة إلى السكان البربر خاصة أن هذه الظاهرة منتشرة ببلدان المغرب العربي، ويرجع مصطلح التويزة إلى لفضه "ويز" البربرية والتي تعني الإعانة والمساعدة، أما حرف "ت" هو أداة التعريف لدى البربر، أخذ العرب مصطلح "التويز" ونطقوه باللكنة العربية فأصبح "تويزة" والتي تعبّر عن حالة من الوحدة والتضامن بين مجموعة من الناس للقيام بجملة من الأنشطة العملية في مناسبات مختلفة. (برقوقي، 2012، ص 96)

توظيف ثقافة التويزة لدى التلاميذ: من خلال غرس ثقافة التعاون لفائدة الجميع ودون مقابل، ومن الأعمال التي قد تستفيد منها المؤسسة التعليمية برمجة أيام للتويزة كحملات التشجير والنظافة داخل المؤسسة أو خارجها وهذا يفيد المعلم والمتعلم في تدريس مثلا مادة التربية المدنية في شقها التطبيقي.

كما قد يستعمل المعلم مصطلح التويزة المرتبط بتراثنا الثقافي عوض التضامن الاجتماعي الدال عليه حتى يترسخ لذي المتعلم ضمن المفاهيم والمصطلحات التراتية الثقافية ، مما يؤدي تقارب الأجيال بوصلها مع الموروث الثقافي للبلد.

3.4. الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

تحتفل الأمة الإسلامية كل سنة بالمولد النبوي الشريف الموافق لـ12 ربيع الأول، فهي مناسبة للمعلمين بتوظيفها في دروسهم خاصة درس مادّة التربية الاسلامية الذي من المفروض أن يقوم به التلاميذ على شكل مسرحيات ويستدعى فيها حتى الأولياء لخلق جو عائلي داخل المدرسة وبتوجيه من المعلم.

يحتاج المتعلمون إلى الترويح عن نفوسهم ومشاركة أفراحهم مع ذويهم وفيما بينهم وحتى مع مؤسستهم التعليمية بطاقمها التعليمي والإداري حتى تتم العملية التعليمية التعلمية في جو تسوده الراحة النفسية والرغبة في التعليم وفق إطار تشاركي، فمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عوض اقتصارها على المساجد تخرج إلى المؤسسات التعليمية لخلق نوع من التكامل بين المؤسسة التعليمية والمسجد في مجال التنشئة الاجتماعية.

يقوم التلاميذ في مجموعات بتوجيه من معلميهم بأداء مسرحيات تعليمية تبرز خصال النبي مُحَمَّد ﷺ إحياءاً لها وقدوة بها للممارس وللمشاهد أو المستمع، فتتحسن لغة المتعلم ويتفاعل مع زملائه في جو ملائكي يشعره بالرجوع إلى عصر النبوة باستحضار مواقف من حياة وخصال نبي الرحمة.

4.4. حفظ القرآن الكريم في الكُتّاب من خلال تكوين حلاقات (مجموعات) للحفظ:

في كافة الأقطار الإسلامية عامة تتم عملية تحفيظ القرآن الكريم في حلقات حفظ ومراجعة، حيث أخرجت هذه الطريقة أجيالاً من الحفظة للقرآن الكريم خاصة والمعروفة بها بلدان المغرب العربي. إذا تفحّصنا هذا الأسلوب وجدناه تطبيقاً للنظرية البنائية الاجتماعية قبل ظهورها في عملية التفاعل والاتصال واللغة المستعملة وحتى في الحركات التي يستعملها الحفاظ (التمايل أمام – خلف) المنشطة لعملية لحفظ.

يحتاج المتعلم للجماعة التي تساعده على الحفظ والفهم والتركيز وتبادل الأفكار والمفاهيم والمصطلحات والتوجيه من طرف المعلم، فطريقة حفظ القرآن الكريم في حلقات (جماعات) برفع أصوات الحفاظ (يشارك الخجول وضعيف الحفظ مع زملاءه) وتجعل الحافظ يركز على ما يحفظه (التركيز) التنشيط في إطار الجماعة، حركة التمايل أمام – خلف كلها حركات تنشط الحفظ والذاكرة التي عمل عليها فيجوتسكي في نظريته البنائية الاجتماعية التي حاولت تنشيط مركز الذاكرة عند المتعلم.

5- الخلاصة:

تتوقف العملية التدريسية على مهارات المعلم في توصيل المعلومات وطريقته في شرح الدروس وعلى البيئة الصفية والإدارة التي يشتغل معها هذا المعلّم والظروف التي يعيشها، هل هي مشجعة لمثل هذه الأساليب ومثمنة لها أم لا. فالعملية التعليمية مكونة من مثلث رأس الزاوية ممثّل في المعلم والقاعدة زاويتاه المتعلّم والإدارة، فالتكامل فيما بينها ينجح العملية التعليمية ومن إحدى طرقها الفعالة استخدام الأساليب التعليمية وفق النظرية البنائية الاجتماعية، والغرض من انتهاج هذا الأسلوب ليس الميل لنهج معيّن بل هو التماشي والمتغيّرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي تفرض توظيفها. (تعاملاً مع مقولة سيدنا علي بن أبي طالب "علّموا أبناءكم لزمانهم فإنهم خلقوا في زمان غير زمانكم").

تختلف النظرية البنائية الاجتماعية عن مثيلاتها في رؤيتها للتعلم بحيث تؤكد على عمليات البناء الاجتماعي وقد تطرقنا لبماذج من موروثنا الثقافي ترسخ ذلك، كما أنها تختلف عن البنائية المعرفية من خلال تركيزها على عمليات التفاعل الاجتماعي ودور اللغة في تطوير عمليات التفكير، في مقابل تركيز البنائية الاجتماعية على النمو والنضج من خلال الحوار والتعليم التعاوني، فكان لزاما البحث في موروثنا الثقافي الذي يكون دعامة لهذه النظرية التعليمية ويربط أجيالنا بموروثها الثقافي الغني سواء كان ماديا ، فكريا أو اجتماعياً.

– الإحالات والمراجع :

1. برقوقي الزازية (2012). **جدلية الفن والعمل في ظاهرة التويزة بمنطقة سيدي بوزيد: تونس**. البحرين: مجلة الثقافة الشعبية. العدد 17.
2. أحمد جابر أحمد السيد (2000). استخدام برنامج قائم على نموذج البنائي الاجتماعي وأثره على التحصيل وتنمية المهارات الحياتية لدى تلاميذ الصف الخامس. مصر: مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس. العدد 77.
3. الجوهري محمد و شكري علياء وآخرون (2007). **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**. القاهرة.
4. لينتون رالف (1964). **دراسة الإنسان**. تر: عبد المالك الناشف. بيروت: المكتبة العصرية.
5. محمد عبد الله يوسف. **الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته**/https://www.academia.edu/38448968
6. قباري محمد اسماعيل (1977). **رادكليف براون : مؤسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرة : نظريا وحقليا**. الاسكندرية: منشأة المعارف.
7. غيلوس صالح (2017). النظرية البنائية الاجتماعية الثقافية (فيجوتسكي) في مناهج لتعليم اللغة (االجيل الثاني). المسيلة: الجزائر: مجلة جسور المعرفة. المجلد 03: العدد 12.
8. Basset . Rene (1921); **Les influences Puniques chez les Berberes** ; Revue africaine ; v.62 .
9. Dallet . J.M (1982); **Dictionnaire Kabyle- Français** ; Paris.
10. Destaing . L (1905); **Ennayer chez les Beni Snous** , Revue Africaine V.49 .